

تحقيق حول شعب أبي طالب علي قاضي عسكر

في بداية شارع الحجون شعب، يُسمّى في الجاهلية وبعد الإسلام بـ «شعب أبي دُبُّ»، ويسمّيه أهل مكة اليوم بـ «مقبرة المعلاة»، أو «جنة المعلاة»^(١) ومعروف بين الإيرانيين بـ «مقبرة أبي طالب». وكان أهل الجاهلية وفي صدر الإسلام يدفنون موتاهم في شعب أبي دُبُّ^(٢) من الحجون إلى شعب الصفي، صفي السياب، وفي الشعب اللاصق بثنية المدنيين الذي هو مقبرة أهل مكة اليوم^(٣). ويسمّى هذا الشعب أيضاً بـ «شعب العفاريت»، ويعرف اليوم بشعبة الجن. وهو يتصل بالحجون الجاهلي^(٤)، وهذا مكان يقصده الكثير من حجاج بيت الله



الحرام في كل عام بعد اتمام العمرة أو الحج لزيارة المدفونين فيه، منهم خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ، وأم المؤمنين، وأبو طالب عم رسول الله ﷺ و... .
يسمى بعض الناس هذا الشعب باسم «شعب أبي طالب»، ويريدون بذلك المكان الذي حوِّس فيه رسول الله ﷺ وخديجة وأبو طالب ومن كان معهم، لمدة ثلاث سنوات من قبل المشركين، وهي تسمية غير صحيحة من الوجهة التاريخية؛ لأنَّ شعب أبي طالب مكان آخر بقرب المسجد الحرام. نورد فيما يلي الأدلة الواضحة، والقطعية على هذا الادعاء:

الشعب في اللغة:

قال الجوهري (م ٣٩٣ هـ) في الصحاح:
و«الشعب» بالكسر، الطريق في الجبل والجمع «الشعاب»^(٥).
قال ابن منظور (م ٧١١ هـ) في لسان العرب:
والشُّعْبُ: ما انفَرَجَ بينَ جَبَلَيْنِ. والشُّعْبُ: مسيل الماء في بطنٍ من الأرض^(٦).

وقال فخر الدين الطريحي (م ١٠٨٥) في مجمع البحرين:
... «الشُّعْبُ» بالكسر، هو الطريق في الجبل، والجمع «شعاب» ككتاب^(٧).

مكان شعب أبي طالب:

تقع مدينة مكة في أرض جبلية وبين شعاب كثيرة؛ ولهذا فهي في موقع منيع من مخاطر السيول، وتبدو كأنها تحتضن الدور التي فيها، بما يشبه الحصن الطبيعي، وقد كانت موطناً لسكنى مختلف القبائل.
وفي جوار المسجد الحرام ثلاثة شعاب متقاربة وهي:

- ١- شعب أبي طالب.
 - ٢- شعب بني هاشم.
 - ٣- شعب بني عامر.
- وكان أجداد النبي ﷺ وقومه قد سكنوا في هذه الشعاب الثلاثة.

(موضع هذه الشعاب الثلاثة موضَّح في الخارطة بشكل دقيق)



قال الطريحي بعد تعريفه لمعنى الشعب:
 وشعبُ أبي طالب بمكة، مكان مولد النبي ﷺ وشعب أبي دبّ أيضاً بمكة
 وأنت خارج إلى منى (٨).

وجاء في معجم البلدان في ذيل كلمة «شعب أبي يوسف»:
 وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ، وبنو هاشم لما تحالفت قريش
 على بني هاشم وكتبوا الصحيفة، وكان لعبد المطلب فقسّمه بين بنيه حين ضعف
 بصره، وكان النبي ﷺ أخذ حظّ أبيه، وهو كان منزل بني هاشم ومساكنهم، فقال
 أبو طالب:

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا وَتَيْمًا وَمَخْزُومًا عَقُوقًا وَمَأْتِمًا
 بَسْتَفْرِيقَهُمْ مِنْ بَعْدِ وُدِّ وَأُلْفَةٍ جَمَاعَتِنَا كَيْمَا يَنْالُوا الْمَحَارِمَا
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللهِ تُبْزِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشُّعْبِ قَائِمًا (٩)

وقال العلامة المجلسي رحمه الله:

والشعب بالكسر: ما انفرج بين جبلين، وشعب أبي طالب معروف بمكة،
 وهو الموضع الذي كان فيه رسول الله ﷺ وأبو طالب، وسائر بني هاشم عند
 إخراج قريش إياهم من بينهم. وكتب الكتاب بينهم في مهاجرتهم ومعاندتهم.
 ثم يقول في ذيل كلمة الكليني رحمه الله: «في دار محمد بن يوسف»: المشهور في
 السير: أن هذه الدار كانت للنبي ﷺ بالميراث، ووهبها عقيل بن أبي طالب، ثم
 باعها أولاد عقيل بعد أبيهم محمد بن يوسف أخا الحجاج فاشتهرت بدار محمد
 بن يوسف، فأدخلها محمد في قصره الذي يسمونه بالبيضاء، ثم بعد انقضاء دولة
 بني أمية حجّت خيزران أم الهادي والرّشيد من خلفاء بني العباس فأفرزها عن
 القصر وجعلها مسجداً. - والقصوى مؤنث أقصى أي الأبعد - والمكان بهذا
 الوصف موجود الآن يزوره الناس (١٠).

الدار التي ولد فيها النبي ﷺ :

معرفة الموضع الذي ولد فيه النبي ﷺ والديار التي كان يسكنها بنو هاشم في مكة؛ يساعدنا على أن نعرف شعب أبي طالب.

قال الأزرقي:

مولد النبي ﷺ أي البيت الذي ولد فيه النبي ﷺ وهو في دار محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، كان عقيل بن أبي طالب أخذه حين هاجر النبي ﷺ وفيه وفي غيره يقول رسول الله ﷺ عام حجة الوداع حين قيل له: أين نزل يا رسول الله؟ وهل ترك لنا عقيل من ظل؟ فلم يزل بيده وبيد ولده حتى باعه ولده من محمد بن يوسف، فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء، وتعرف اليوم بدار يوسف، فلم يزل ذلك البيت في الدار حتى حجّت الخيزران أمّ الخليفين موسى وهارون فجعلته مسجداً يصلى فيه، وأخرجته من الدار وأشرعته في الزقاق الذي في أصل تلك الدار يقال له: زقاق المولد^(١١)، وهذا الشعب يُعرف اليوم بشعب بني هاشم وشعب علي، ويتصل بالسوق المسمّى بسوق الليل^(١٢).

وذكر الفاكهي (م ٢٧٢، ٢٧٩ هـ):

ودار ابن يوسف لأبي طالب، والحق الذي يليه بعض دار ابن يوسف من مولد النبي ﷺ وهو الشعب الذي حاصرت فيه قريش بني هاشم، ورسول الله ﷺ معهم في الشعب^(١٣).

ثم أشار محقق هذا الكتاب في هامشه بأن هذا الشعب يعرف اليوم بـ «شعب علي»^(١٤).

ثم قال الفاكهي بشأن دار أبي يوسف ما يلي:

وقال بعض الناس: إن دار ابن يوسف كانت لعبد المطلب، فأمر الحجاج



أخاه محمد بن يوسف فاشتراها بمائة درهم، فدفعها الحجاج إليه، وأمر أخاه محمداً أن يبنيها، فبناها وكلاء محمد، فقال الناس: الدار لمحمد بن يوسف، فلما ولي الوليد بن عبد الملك^(١٥) استعمل خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف على مكة، فادعى أنها لأبيه، فخاصمه الحجاج بن عبد الملك بن الحجاج بن يوسف، فنظروا في الدواوين فوجدوا النفقة والتمن من الحجاج، وكان الحجاج قد جعل الدار الخارجة وقفاً على ولد الحكم بن أبي عقيل، والوسطى على ولد محمد بن يوسف، والداخلية على ولد الحجاج. وذكر بعض أهل مكة أن محمد بن يوسف كان أودع عطاء بن أبي رباح المال الذي بناها به ثلاثين ألف دينار، فلما أراد وكلاؤه قبضها، دعا الناس ليشهدوا على قبضها منه، فقال سفيان بن عيينة: قال عمرو بن دينار: فكننت فيمن دعي ليشهد، فكانت رؤيتها أحب إلي من درهمين. ثم صارت هذه الدار بعد ذلك لولد عبد الملك بن صالح. ثم صارت اليوم لأبي سهل محمد بن أحمد بن سهل.

الشاعر يذكر دار ابن يوسف هذه:

وموعدها دار ابن يوسف غدوة كذا الخوخة القصى المغلق بابها
ويقال: إن النبي ﷺ وهب حقه من هذه الدار، والشعب لعقيل بن أبي طالب، وكان رسول الله ﷺ سخياً حليماً سماً كريماً^(١٦).

وقال الفاكهي في موضع آخر:

وفي دار ابن يوسف بئر جاهلية، حفرها عقيل ابن أبي طالب فلم تزل هذه الدار حتى باعها ولده من محمد بن يوسف، وفي هذه الدار^(١٧) البيت الذي ولد رسول الله ﷺ وقد أخذ مصلى يصلى فيه، والذي يليه حق العباس بن عبد المطلب ﷺ حتى دار خالصة مولاة الحيزران، ثم حق المقوم بن عبد المطلب، وهي دار طلوع مولاة زبيدة، ثم حق أبي لهب بن عبد المطلب وهي دار أبي يزيد

اللهي، وفيها كان يسكن الفضل بن العباس (١٨).

قال الكليني البغدادي (م ٣٢٩ هـ) في ذكر مولد النبي ﷺ:

ولد النبي ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروى أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، وحملت به أمّه في أيّام التشريق عند الجمرة الوسطى (١٩) وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطلب، وولده في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف (٢٠) في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً، يصلّي الناس فيه (٢١).

وذكر أيضاً في مكان آخر من أنّه: وماتت خديجة عليها السلام حين خرج رسول الله ﷺ من الشعب.

وجاء في تحاف الوري بأخبار أمّ القرى:

وكان الحُمْلُ برسول الله ﷺ في شعب أبي طالب في ليلة الجمعة من شهر رجب، وقيل في أيّام التشريق (٢٢).

وذكر السيد الأمين في أعيان الشيعة:

ولد ﷺ بمكة يوم الجمعة أو يوم الاثنين... وكانت ولادته في الدار المعروفة بدار ابن يوسف، وهو محمد بن يوسف أخو الحجاج، وكان ﷺ وهبها لعقيل بن أبي طالب، فلما توفي عقيل باعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج، فلما بنى داره المعروفة بدار ابن يوسف أدخل ذلك البيت في الدار، ثم أخذته الخيزران أمّ الرشيد فأخرجته وجعلته مسجداً يصلّي فيه وهو معروف إلى الآن، يزار ويصلّي فيه ويتبرك به. ولما أخذ الوهابيون مكة في عصرنا هذا هدموه، ومنعوا من زيارته على عادتهم في المنع من التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وجعلوه مربوطاً للدواب (٢٣).



وقال تقي الدين الفاسي المكي (م ٨٣٢هـ):

ولد صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف. ويقال: بالشعب. ويقال بالرذم^(٢٤). ويقال: بعسفان، قلت: قال السهيلي: ولد بالشعب. وقيل: بالدار التي عند الصفا. وكانت بعد: لمحمد بن يوسف أخي الحجاج. ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت. انتهى. والدار التي عند الصفا: هي دار الخيزران، ودار ابن يوسف بسوق الليل، وهي الموضع المعروف بمولده عليه الصلوة والسلام. وهذا الذي قاله السهيلي في ولادته بالدار التي عند باب الصفا غريب والله أعلم. انتهى (٢٥).

وجاء في السيرة الحلبية ما يلي:

وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار التي صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ... وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبي طالب، ولم تنزل بيد أولاده بعد وفاته، إلى أن باعها لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بمائة ألف دينار، قاله الفاكهي ... فأدخلها في داره وسماها البيضاء أي لأنها بنيت بالجصّ، ثم طليت به فكانت كلها بيضاء، وصارت تعرف بدار ابن يوسف. لكن سيأتي في فتح مكة أنه قيل له صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله تنزل في الدور؟ قال: هل ترك لنا عقيل من رباغ أو دور؟ فان هذا السياق يدل على أن عقيلاً باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده، إلا أن يقال المراد باع ما عدا هذه الدار التي هي مولده صلى الله عليه وسلم ... وأن عقيلاً باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي دار خديجة أي التي يقال لها مولد فاطمة، وهي الآن مسجد يصلّى فيه بناه معاوية أيام خلافته، قيل وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام أي واشتهر بمولد فاطمة، لشرفها والّا فهو مولد بقية اخواتها من خديجة ولعل معاوية اشترى تلك الدار ممن اشترها من عقيل، ويدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار، التي أبقاها في يد عقيل أي التي

هي دار خديجة، فإنه لم يزل بها ﷺ حتى هاجر فأخذها عقيل. وفي كلام بعضهم لما فتح النبي ﷺ مكة ضرب مخيمة بالحجون فقبل له: ألا تنزل منزلك من الشعب؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً... وهي أي تلك الدار التي ولد بها ﷺ عند الصفا قد بنتها زبيدة زوجة الرشيد أم الأمين مسجداً لما حجت. وفي كلام ابن دحية أن الخيزران أم هارون الرشيد لما حجت أخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجداً. ويجوز أن تكون زبيدة جدت ذلك المسجد، الذي بنته الخيزران فنسب لكل منها. وأن الخيزران بنت دار الأرقم مسجداً وهي عند الصفا أيضاً. ولعل الأمر التبس على بعض الرواة؛ لأن كلا منهما عند الصفا. وقيل ولد ﷺ في شعب بني هاشم.

ثم الحلبي يقول: قد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن تكون تلك الدار من شعب بني هاشم، ثم رأيت التصريح بذلك، ولا ينافيه ما تقدم في الكلام على الحمل من أن شعب أبي طالب، وهو من جملة بني هاشم كان عند الحجون لانه يجوز أن يكون أبو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله أعلم (٢٦). انتهى.

يتضح من هذه الرواية التاريخية أن «شعب أبي طالب» لم يكن في منطقة الحجون، بل قرب المسجد الحرام وإلى جانب جبل الصفا وفي مكان فيه دار محمد بن يوسف... ولا يوجد هنالك دليل يثبت هذا الاحتمال بأن شعب أبي طالب كان في منطقة الحجون، وربما يفهم من كلمة «والله أعلم» التي أوردها الحلبي أنه لم يكن متأكداً من صحة ما نقله.

وذكر المسعودي (م ٣٤٥ هـ):

وكان مولده عليه الصلوة والسلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة، في دار ابن يوسف، ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادي والرشيد مسجداً (٢٧).



وذكر في موضع آخر:

وفي سنة ست وأربعين كان حصار قريش للنبي ﷺ وبني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب (٢٨).

ونقل ابن الأثير (م ٦٣٠ هـ) عن ابن إسحاق بأن رسول الله ﷺ وُلد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، وكان مولده بالدار التي تُعرف بدار ابن يوسف، قيل: إن رسول الله ﷺ وهبها عقيل بن أبي طالب، فلم تزل في يده حتى توفي، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج، فبنى داره التي يقال لها: دار ابن يوسف وأدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجداً يصلّي فيه (٢٩).

وذكر الطبري (م ٣١٠ هـ) في تاريخه نحوه (٣٠).

وقال الفاسي المكي في ذكر المواضع المباركة بمكة المشرفة المعروفة بالمواليد:

فمنها المولد الذي يقال له، مولد النبي ﷺ بالموضع الذي يقال له سوق الليل، وهو مشهورٌ عند أهل مكة. وذكر الأزرقي أن عقيل بن أبي طالب أخذها لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ولم يزل بيده ويد أولاده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي، فأدخله في داره التي يقال لها دار البيضاء، ولم يزل هذا البيت في هذه الدار حتى حجّت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون، فجعلته مسجداً يصلّي فيه، وأخرجته من الدار وشرعته إلى الزقاق الذي في أصل تلك الدار، انتهى (٣١).

وجاء في كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم:

كانت ولادة النبي ﷺ لمكة في دار أبي طالب، بشعب بني هاشم بقرب المسجد الحرام، ويسمّى الآن بشعب علي أي علي بن أبي طالب ولا زال محل

ولادته ﷺ معروفاً إلى اليوم (٣٢).

وقد ذكر أكثر المؤرخين أن ولادة النبي ﷺ كانت في شعب أبي طالب، أو في دار قرب الصفا، أو في الدار المعروفة بدار ابن يوسف وهي ثلاثة أسماء لمكان واحد (٣٣).

وورد في كتاب سيرة ساكن الحجاز:

وكان مولده ﷺ بالشَّعب وهو شعب بني هاشم (مكان معروف عند أهل مكة، يخرجون إليه في كل عام يحتفلون بذلك أكثر من احتفالهم يوم العيد إلى يومنا هذا، في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج) (٣٤).

وذكر محب الدين الطبري المكي في كتابه «القرى لقاصد أم القرى»:

كان عقيل بن أبي طالب قد استولى عليه (بيت النبي ﷺ) زمن الهجرة، فلم يزل بيده ويد ولده حتى باعوه لمحمد بن يوسف (أخي الحجاج) فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء، ثم عُرفت بدار ابن يوسف، ولم يزل ذلك، كذلك حتى حجَّت الحيزران (جارية المهدي) فجعلته مسجداً يصلّى فيه، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له «زقاق المولد»... وهو الآن مكتبة عامة (٣٥).

وقال صلاح الدين الصفدي بعد بحث موسّع حول مكان ولادة النبي ﷺ:

القول الأرجح هو أن رسول الله ﷺ قد وُلد في عام الفيل في دار تقع في الزقاق المعروف بزقاق المولد الذي كان بيد عقيل بن أبي طالب (٣٦).

وذكر عاتق بن غيث البلادي:

مولد رسول الله ﷺ من الناحية التاريخية ثابت أنه ولد عام الفيل ٥٣ ق.هـ تقريباً، في شعب أبي طالب المعروف اليوم بشعب علي وقد حول إلى مكتبة مكة، إبعاداً له عن زحام الناس ولعهم بالتبرك به (٣٧).

وقد كان موضع ولادة رسول الله، قبل تسلط الوهابيين على الحرمين



الشريفيين موضعاً يزوره المؤمنون والمسلمون الذين يفدون إلى مكة من كل أرجاء العالم (٣٨).

قال محمد بن علوي المالكي في كتابه باسم «في رحاب البيت الحرام»: مولد النبي ﷺ وهو مكان معروف إلى الآن بمكة في سوق الليل... ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة استولى على هذا البيت عقيل بن أبي طالب ولم يزل بيده ويبد أولاده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفي، ثم لما حجّت الخيزران أم الخليفتين أخرجته وجعلته مسجداً يصلّى فيه، قال ابن ظهيرة ما معناه: وجرت العادة بمكة في ليلة مولد الرسول أن يتها الكبار والعلماء وأعيان البلاد بالفوانس والشموع فيخرجون إلى بيت مولد الرسول لزيارته وإحياء ذكر مولده... قال: والمعروف المشهور في مولده - عليه الصلاة والسلام - هو الذي بسوق الليل ولا اختلاف فيه عند أهل مكة ثم قال: وكون هذا مولد الرسول ﷺ مشهور متوارث يأثر الخلف عن السلف (٣٩).

قال الفاسي المكي في صفة مولد النبي ﷺ:

أما الصفة التي أدركناه عليها، فإنه بيت مربع وفيه اسطوانة عليها عقدان، وفي ركنه الغربي مما يلي الجنوب زاوية كبيرة قبالة بابه الذي يلي الجبل، وله باب آخر في جانبه الشرقي أيضاً، وفيه عشرة شبابيك، أربعة في حائطه الشرقي، وهو الذي فيه باباه المتقدم ذكرهما، وفي حائطه الشمالي ثلاثة، وفي الغربي واحد، وفي الزاوية اثنان، واحد في جانبها الشمالي وواحد في جانبها اليماني، وفيه محراب، وبقرب المحراب حُفرة عليها درابزين من خشب، وذرع تربيع الحُفرة من كل ناحية ذراع وسُدس، الجميع بذراع الحديد، وفي وسط الحُفرة رخامة خضراء، وكانت هذه الرخامة مطوّقة بالفضة على ما ذكره ابن جبير، وذكر أن سعتها مع الفضة ثلاثا شبر (٤٠). وهذا الموضع جعل علامة للموضع الذي وُلد فيه النبي ﷺ

من هذا المكان^(٤١)، وذرع هذا المكان طولاً أربعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع. وذلك من الجدار الشمالي إلى الجدار المقابل له، وهو الجنوبي الذي يلي الجبل، وذُرعه عرضاً أحد عشر ذراعاً وثمان ذراع. وذلك من الشرقي الذي فيه بابه إلى جداره الغربي المقابل له، وطولاً الزاوية المشار إليها ثلاثة عشر ذراعاً ونصف ذراع وعرضها ثمانية ونصف، الجميع بذراع الحديد. وكان تحزير ذلك بحضوري، ولم يذكر الأزرقى صفة هذا المكان ولا ذُرع، وقد خفي علينا كثيراً من خبر عمارته. والذي علمته من ذلك أن الناصر العباسي عمّره في سنة ستّ وسبعين وخمسمائة. ثم الملك المظفر صاحب اليمن في سنة ستّ وستين وستائة، ثم حفيده المجاهد في سنة أربعين وسبعائة، وفي سنة ثمان وخمسين وسبعائة من قبل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر^(٤٢)، وفي دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بإشارة مدير دولته «يلبغا الخاصكي»^(٤٣) سنة ستّ وستين وسبعائة، وفي آخر سنة إحدى وثمانمائة، أو في التي بعدها، من المال الذي أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة. وكانت عمارة هذا المولد بعد موته^(٤٤).

هذا وقد وصفه ابن جبير في رحلته بوصف غير هذا، مما يدلّ على أنه لم يدم على صفة واحدة بل كان يتغير صفةً وبناءً بتغير الزمن. وأعاد بناء هذا البيت بعد أن تهدم وصار خراباً مهجوراً الشيخ عباس قطان أمين العاصمة، ووضعت فيه مكتبة عامة عظيمة فخمة، تسمى بمكتبة مكة المكرمة مفتوحة للمطالعة والمراجعة.

وفي الأعوام الأخيرة هدم البنائات التي حول المكتبة لتوسيع أطراف المسجد الحرام، ويمكن ملاحظة الأبنية التي شيّدت في موضع ولادة النبي ﷺ من خلال التصاوير.



وجاء في بحار الأنوار:

... ولد النبي ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروى أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطلب، وولدت في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً يصلي الناس فيه (٤٥).

وروى الزهرة عن أبي عبد الله الطرابلسي، البيت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ في دار محمد بن يوسف (٤٦).

وقال الكليني: [ولد] في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار (٤٧).

يظهر ممَّا ذكرناه أولاً: أنّ النبي ﷺ قد وُلد في شعب أبي طالب. وثانياً: أنّ شعب أبي طالب موضع في مكة، قرب المسجد الحرام، وبعيداً عن المكان الذي في الحجون الذي يعرفه بعضٌ باسم هذا الشعب.

مقاطعة النبي ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب:

فلما رأت قريشُ أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأنّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأنّ عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وجعل الإسلامُ يَفشو في القبائل، اجتمعوا واثتمروا [بينهم] أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصورُ بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ... فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو هب، عبد العزّي بن عبد المطلب، إلى قريش فظاهرهم (٤٨).

وقال السيد الأمين في أعيان الشيعة:

... وحصروهم في شعب أبي طالب أول المحرم سنة سبعة من البعثة فدخل بنو هاشم الشعب، مسلمهم وكافرهم عدا أبي هب وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لشدة عداوتها للرسول ﷺ ... وانحاز إليهم بنو المطلب بن عبد مناف فكانوا أربعين رجلاً، وحصن أبو طالب الشعب وكان يجرسه ليلاً ونهاراً ... وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب وذلك أشدّ ما لقي رسول الله ﷺ



وأهل بيته بمكة، وكان هشام بن عمرو وأحد بني عامر بن لؤي يأتي بالبعير بعد البعير قد أوقره طعاماً أو تمرّاً إلى فمّ الشُّعب فينزِع عنه خطامه ويضربه على جنبه فيدخل الشعب، فبقوا في الشعب سنتين أو ثلاث سنين... وخرج بنو هاشم من حصار الشعب في السنة العاشرة أو التاسعة من النبوة إلى مساكنهم... (٤٩).

قال الكازروني في المنتقى وغيره:

... فعمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ومن اتبعهم، فدخلوا شعب أبي طالب وآذوا النبي والمؤمنين أذى شديداً، وضربوهم في كل طريق، وحصروهم في شعبهم، وقطعوا عنهم المازّة من الأسواق ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتره فزيدوا عليه، فبقوا على ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، حتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون - أي يصيحون من الجوع من وراء الشعب -... ويصبح قريش وقد سمعوا أصوات صبيان بني هاشم من الليل يتضاغون من الجوع... (٥٠).

وجاء في إتحاف الوري باخبار أم القرى:

دعا رسول الله ﷺ على كاتب الصحيفة فسلّت يده، ثم غدت قريش على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم، واشتد البلاء عليهم... ولما فعلت قريش ذلك انحاز رسول الله ﷺ وسائر بني هاشم وبني المطلب، - خلا أباهب - وبني المطلب وولده في الشعب، وخرج اللعين أبو هب وولده إلى قريش، فظاهرهم على بني هاشم وبني المطلب، وقطعوا عنهم الميرة والمادة، فكانوا لا يقدرون على ذلك إلا من الموسم إلى الموسم، ولا يخرجون إلا من موسم إلى موسم، حتى بلغ بهم الجهد، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب يتضاغون من الجوع. فن قريش

من سرّه ذلك ومنهم من ساءه، ولم يكن يصل إليهم شيء إلا سراً، حتى إن المطعم بن عدى أدخل عليهم في بعض الأيام ثلاثة أوقار من الطعام، وكان النبي ﷺ يشكر له ذلك، وكانت العير تأتي من الشام وعليها الحنطة إلى حكيم بن حزام بن خويلد فيوجهها نحو الشعب، ثم يضرب أديارها فتدخل عليهم، فيأخذون ما عليها من الحنطة، وكان هشام بن عمرو بن ربيعة أوصل قريش لبني هاشم حين حصرُوا في الشعب، أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعام، فعلمت بذلك قريش، فمشوا إليه فكلّموه في ذلك فقال: إني غير عائد لشيء تحالفتم عليه. ثم عاد الثانية وأدخل جملاً أو جمّلين، فعالظته قريش وهمّوا به، فقال أبو سفيان بن حرب: دعوه؛ رجلٌ وصلّ رحمه، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أجمل (٥١).

وقال في موضع آخر: ... فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم ... (٥٢).

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتدّ عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا طعاماً يقدّم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد مكرّاً به واغتياله، فاذا نَوّم الناس أمر واحداً من بنيه، أو اخوته، أو بني عمّه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه (٥٣).

وقال ابن كثير في السيرة النبوية:

... فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن



يَدْخُلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شِعْبَهُمْ وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَنْعُوهُ مَنْ أَرَادُوا قَتْلَهُ ... وَحَضَرَهُمْ إِيَّاهُمْ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ مَدَّةً طَوِيلَةً (٥٤).

وجاء في كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم: فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب أبي طالب، وهو المعروف اليوم «بشعب علي» ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ما عدا أبي لهب فإنه كان مع قريش، فلما انفصلوا عن قريش بالشعب المذكور، جهد القوم جهداً عظيماً، وتعبوا تعباً شديداً حتى أكلوا أوراق الأشجار، لأن قريشاً شددوا الحصار عليهم، وكان ذلك في السنة السابعة من البعثة، ومكثوا على هذا الحال من الضيق والتعب الشديد ثلاث سنوات (٥٥).

وقال أيضاً في موضع آخر:

قال هذه القصيدة أبو طالب عمُّ النبي ﷺ في الشُّعب وهو شِعْبُ أَبِي طَالِبٍ، الَّذِي آوَى إِلَيْهِ بَنُو الْمَطْلَبِ وَبَنُو هَاشِمٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ يَذْكُرُ مَا قَالَهُ فِي الشُّعْبِ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في رحمة وفواضل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا	عقوبة شر عاجلاً غير آجل
بميزان قسط لا يخس شعيرة	له شاهد من نفسه غير عائل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم	وآل قصي في الخطوب الأوائل (٥٦)

وجاء في بحار الأنوار:

من معجزاته ﷺ أن قريشاً كلهم اجتمعوا وأخرجوا بني هاشم إلى شعب أبي طالب، ومكثوا فيه ثلاث سنين إلا شهراً، ثم أنفق أبو طالب وخديجة جميع ما لهما، ولا يقدر على الطعام إلا من موسم إلى موسم فلقوا من الجوع والعري ما الله أعلم به ... (٥٧).

وقال ابن سعد في «الطبقات الكبرى»:

... وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين تنبى رسول الله ﷺ وانحاز بنو المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه مع بني هاشم ... (٥٨).

وجاء في الكامل لابن الأثير:

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا ... وذكروا أن أبا جهل لقي حكيماً بن حزام بن خُوَيْلِدٍ ومعه قمح يريد به عمته خديجة، وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب متعلق به وقال: والله لا تبرح حتى أفضحك، فجاء أبو البخترى بن هشام فقال: ما لك وله؟ عنده طعام لعمته أفتمنعه أن يحمله إليها؟ خل سبيله، فأبى أبو جهل، فنال منه. فضربه أبو البخترى بلحى جمل فشجّه ووطأه وطأً شديداً، وحمزة ينظر إليهم، وهم يكرهون أن يبلغ النبي ﷺ ذلك فيشمت بهم هو والمسلمون. ورسول الله ﷺ يدعو الناس سرّاً وجهراً، والوحي متتابع إليه، فبقوا كذلك ثلاث سنين (٥٩).

وفي السيرة للذهبي:

فلبثت بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ... وقال محققه في هامشه: قال المحافظ أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري عن المدائني، عن أبي زيد الأنصاري، عن أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: حصرنا في الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنا الميرة حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة فلا يبتاع شيئاً، حتى مات منا قوم (٦٠).

وجاء في الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ:

ودخل بنو هاشم الشعب - شعب أبي طالب - ومعهم بنو المطلب بن عبد



مناف، باستثناء أبي لهب - لعنه الله وأخزاه - واستمروا فيه إلى السنة العاشرة ... ووضعت قريش عليهم الرقبا حتى لا يأتهم أحد بالطعام. وكانوا ينفقون من أموال خديجة وأبي طالب حتى نفدت، حتى لقد اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر. وكان صبيبتهم يتضاغون جوعاً، ويسمعهم المشركون من وراء الشعب، ويتذاكرون ذلك فيما بينهم ... ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكانوا يشترون حينئذ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جداً ... وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً ... وكان علي أمير المؤمنين عليه السلام أثناءها يأتهم بالطعام سراً من مكة، من حيث يمكن، ولو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه كما يقول الاسكافي وغيره (٦١).

وجاء في أعلام الوري:

... فلما بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم ودخل الشعب وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام لأن شاكيت محمداً شوكة لأتبنّ عليكم يا بني هاشم. وحصن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار ... وكانت خديجة لها مالٌ كثيرٌ فانفقته على رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب (٦٢).

وكتب اليعقوبي (م ٢٩٣ هـ) في هذا الصدد:

ثم حصرت قريش رسول الله وأهل بيته من بني هاشم وبني المطلب ابن عبد مناف في الشعب، الذي يقال له شعب بني هاشم بعد ست سنين من مبعثه، فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله ماله وأنفق أبو طالب ماله وأنفقت خديجة بنت خويلد ماله، ثم نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن الله بعث الأرضة على صحيفة قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعة وظلم إلا المواضع التي فيها ذكر الله (٦٣).

إن الوضع المهلك الذي آل إليه النبي ﷺ وأصحابه، حرّك نفراً من قريش لنقض الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم، فنهض هشام بن عمرو مع زهير بن أبي أمية، ومطعم بن عدي، وأبو البختري، وزمعة بن أسود بن المطلب، فاتعدوا له، خَطَمَ الحجون التي بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها (٦٤).

أقول: يقع شعب الحجون في الموضع نفسه الذي فيه الآن مقبرة أبي طالب، وكان قبل الإسلام مقبرة أيضاً، وبالنتيجة فلو كان الشعب هنا، وفيه تعرض النبي ﷺ وأتباعه للمقاطعة، فلا معنى لأن يجعله الأشخاص المذكورون موضعاً خفياً لاجتماعهم وهو معرض للخطر الدائم في أية لحظة!! إن الاستفادة من هذا المكان كموضع خفي تدل على أن الحجون كان خارج مكة، أو إلى جوارها على الأقل، بل إن بعض الروايات تصرّح بأن الحجون كان خارج مكة في صدر الإسلام، ولهذا لا يمكن القول بأن النبي ﷺ وأتباعه وقومه خرجوا كلهم من مكة وأقاموا خارجها!!

وروي في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما توفي أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أخرج من مكة، فليس لك فيها ناصرٌ. وثارت قريش بالنبي ﷺ فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون فصار إليه (٦٥).

نقض الصحيفة:

بعد ثلاث سنين تقريباً، أخبر النبي ﷺ عمّه أبا طالب: بأن الأرضة قد أكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم، ولم يبق فيها إلا ما كان اسماً لله، فخرج أبو طالب من شعبه ومعه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع



أخرجهم ... وقالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئتكم بخير، إبعثوا لي صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها. فبعثوا، فأتوا بها، فلما وضعت وعليها أختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟ قالوا: لا. قال: إن ابن أخي حدثني، ولم يكذبني قط: أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأربعة، فأكلت كل قطيعة وإثم، وتركت كل اسم هو لله، فإن كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه. فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب ... ففتحت، ثم أخرجت فإذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم فكبر المسلمون، وامتدعت وجوه المشركين ... فقال أبو طالب:

أتبين لكم: أينما أولى بالسحر والكهانة؟ ...

فأسلم يومئذٍ عالم من الناس ... ولكن المشركين لم يقنعوا بذلك بل استمروا على العمل بمضمون الصحيفة، حتى قام جماعة منهم بالعمل على نقضها، وخرج الهاشميون حينئذٍ من شعب أبي طالب (٦٦).

وقال ابن أبي الحديد: ... إنهم منعوا أيام الحصار في شعب بني هاشم من الماء العذب (٦٧).

أسماء بعض بني هاشم الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الشعب خلال مدة المقاطعة:

- ١- أبو طالب بن عبد المطلب.
 - ٢- علي بن أبي طالب.
 - ٣- حمزة بن عبد المطلب.
 - ٤- عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.
- (ومع أن عبيدة لم يكن من بني هاشم، إلا أن اتحاد بني المطلب وبني هاشم، ومواقفهما المشتركة في الجاهلية والإسلام، يتيح لنا عدّه من بني هاشم).

- ٥- العباس بن عبد المطلب.
 ٦- عقيل بن أبي طالب.
 ٧- طالب بن أبي طالب.
 ٨- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.
 ٩- ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.
 ١٠- الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.
 وكان شديداً على رسول الله ﷺ يبغضه ويهجوهُ بالأشعار، إلا أنه كان لا يرضى بقتله (٦٨).

١١- خديجة بنت خويلد (٦٩).

قد ذكر المؤرخون وكتاب السيرة: أنَّ الموضع الذي حُصر فيه رسول الله وأصحابه على يد قريش، هو شعب أبي طالب، أشرنا إلى بعضهم ونُشير إلى بعض آخر:

قال الطبرسي: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا إليه في شعبه... (٧٠).

وقال الفاسي المكي (م ٨٣٢هـ):

فانحاز الهاشميون غير أبي لهب، والمطلبيون إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً (٧١).

وجاء في بحار الأنوار: وحاصروا بني هاشم في الشعب، شعب عبد المطلب أربع سنين، فأصبح النبي ﷺ يوماً وقال لعمة أبي طالب: إنَّ الصحيفة التي كتبتها قريش في قطيعتها قد بعث الله عليها دابةً فلحست كلَّ ما فيها غير اسم الله (٧٢).
 وروى الواقدي:

دخل بنو هاشم في ليلة الأول من المحرم من السنة السابعة للبعثة في شعب



أبي طالب، واجتمع إليهم بنو المطلب في ذلك الشعب (٧٣).

وقال محمد إبراهيم آيتي ﷺ:

ولما عزمت قريش على فعلها اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب وصاروا كلهم إلى الشعب، سوى أبي لهب بن عبد المطلب الذي ناصر قريشاً (٧٤).

وقال رفاعه رافع الطهطاوي:

شعب أبي طالب هو الموضع الذي صارت فيه المقاطعة ثم يقول: فأنحاز الهاشميون إلى أبي طالب... فدخلوا معه في شعبه، وخرج من بني هاشم أبو لهب... وأقام بنو هاشم في الشعب ومعهم رسول الله ﷺ نحو ثلاث سنين، وكان بنو هاشم محصورين في الشعب لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم... وأخرجوا بني هاشم وبني المطلب من الشعب وذلك في السنة العاشرة من مبعثه (٧٥).

وكتب إبراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين:

القشاشية، في شرق المسجد الحرام ويطل عليها جبل أبي قبيس، وفي الجهة الشرقية منها شعب علي أو شعب بني هاشم (٧٦).

وقال ياقوت الحموي:

شعب أبي يوسف، هو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم لما تحالفت عليهم قريش، على بني هاشم... وكان لعبد المطلب فقسمة بين بنيه حين ضعف بصره، وكان النبي ﷺ أخذ حظ أبيه وهو كان منزل بني هاشم ومساكنهم (٧٧). قال عاتق بن غيث البلادي بعد نقل هذا الموضوع في كتابه معجم معالم الحجاز:

ثم عرف هذا الشعب فيما بعد بشعب أبي صالب (٧٨)، ثم شعب بني هاشم ويُعرف اليوم بشعب علي، وهو الشعب الذي يسيل بطرف أبي قبيس من الشمال

بينه وبين الخدمة، فيه مولد رسول الله ﷺ وهو اليوم مكتبة مكة أي المولد، يصب سيله على سوق الليل فوق المسجد الحرام بحوالي ثلاثمائة متر. كانت عند مصيبة بذر فهدمت سنة ١٣٩٩ هـ في توسعة شارع الغزاة (٧٩).

وجبل أبي قبيس، هو أحد أشهر جبال مكة، ومنه يبدأ شعب علي أو شعب أبي طالب ويمتد إلى خدمة، وقد استودع فيه الحجر الأسود أيام الطوفان وموضعه في شعب علي، أي المكان الذي ولد فيه الرسول ﷺ وذكر عبد الملك بن هشام أنه سمى بأبي قبيس بن شامخ، وهو رجل من جرهم، كان قد وشى بين عمرو بن مضاخ وبين ابنة عمه مية، فنذرت أن لا تكلمه، وكان شديد الكلف بها فحلف لأقتلن أبا قبيس، فهرب منه في الجبل المعروف به، وانقطع خبره، فإما مات وإما تردى منه، فسُمي الجبل أبا قبيس لذلك، في خبر طويل ذكره ابن هشام صاحب السيرة في غير كتاب السيرة، وقال أبو المنذر هشام: أبو قبيس، الجبل الذي بمكة، كناه آدم عليه السلام بذلك حين اقتبس منه هذه النار التي بأيدي الناس إلى اليوم، من مَرَّخَتَيْنِ نَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَى أَبِي قَبَيْسٍ فَاحْتَكَّتَا، فَأَوْرَثَا نَارًا، فَاقْتَبَسَ مِنْهَا آدَمُ، فَلِذَلِكَ الْمَرَّخُ إِذَا حُكَّ أَحَدُهَا بِالْآخَرِ، خَرَجَتْ مِنْهُ النَّارُ (٨٠).

بعض شعاب مكة:

كما ذكرنا سابقاً، يوجد في الشمال الشرقي للمسجد الحرام ثلاث شعاب،

وهي:

١- شعب علي أو شعب أبي طالب ويسمى اليوم بالقشاشية (٨١) أيضاً.

٢- شعب بني هاشم ويسمى أيضاً بـ«غزة».

٣- شعب بني عامر.



كان يسكن في هذه الأماكن الثلاثة، منذ العصر الجاهلي فما تلاه، أجداد النبي ﷺ وأبناء عبد المطلب وأبو طالب وبني هاشم (٨٢).

وكذلك بعض البيوت في شعب علي، وبعض دار ابن يوسف كانت لأبي طالب، وبعض دار ابن يوسف (مولد النبي ﷺ) وما حوله لأبي النبي ﷺ عبد الله بن عبد المطلب، وكذلك دار خالصة مولاة الخيزران، لعباس بن عبد المطلب ودار الطلوب مولاة زبيدة، حَقَّ المقوم بن عبد المطلب. وذكر غير واحد من المكيين أن الشعب الذي يقال له: شعب ابن يوسف - وهو شعب علي وبجانبه سوق الليل، كان لهاشم بن عبد مناف دون الناس. وكان عبد المطلب قد قسم حقه بين ولده ودفَع إليهم ذلك في حياته فنَّ صار للنبي ﷺ حق أبيه عبد الله بن عبد المطلب، وللعباس بن عبد المطلب أيضاً الدار التي بين الصفا والمروة التي بيد ولد موسى بن عيسى التي إلى جنب الدار التي بيد جعفر بن سليمان، ودار العباس هي الدار المنقوشة التي عندها العلم الذي يسعى منه مَنْ جاء من المروة إلى الصفا بأصلها، ويزعمون أنها كانت لهاشم بن عبد مناف، ولهم أيضاً دار أم هاني بنت أبي طالب - كان بجانب الباب المعروف باسمها - التي كانت عند الحناطين عند المنارة فدخلت في المسجد الحرام حين وسعه المهدي في الهدم الآخر سنة سبع وسبعين ومائة (٨٣).

وقال أحمد السباعي:

... عند سوق الليل تصافحنا الدار التي كانوا يسمونها دار مال الله، وكانوا ينفقون فيها على المرضى ويطعمونهم، وبالقرب من الدار يلتوي شعب ابن يوسف وهو ما نسميه شعب علي، وفيه دور عبد المطلب بن هاشم ودور أخرى لأبي طالب وأخرى للعباس بن عبد المطلب وإذا عدنا إلى استقامتنا في شارعنا العام يصافحنا دار العاص في فوهة شعب بني عامر، ثم يلتوي شعب بني عامر في

دروب متعددة تقوم عليها دور لبني بكر، وأخرى لبني عبد المطلب بن عبد مناف ... ونمضي قليلاً إلى المعلاة لنجد الجزارين عن يميننا في شعب أبي دب، ثم مكان المقابر وهي بعد حدود شعب عامر ... (٨٤).

صفوة القول:

إضافةً إلى ما مرّ ذكره، فإن شعب علي وشعب بني هاشم وشعب بني عامر، قرب المسجد الحرام محددة بشكل دقيق على الخرائط الموجودة عن الحجاز - قديماً وحديثاً - ولم يطلق أحد اسم شعب أبي طالب على مقبرة أبي طالب الواقعة في شعب أبي دب، ولهذا فإن وجود الشعب في ذلك المكان مع كل هذه الأدلة والشواهد، يمكن تبريره بالنقاط التالية:

أولاً: أنّ المنطقة كانت موضع سكن تلك العائلة.

وثانياً: توفر امكانية الحياة، والاستفادة من مخزون الطعام والاشياء الأخرى الموجودة في الدور، والأكيف يمكن البقاء على قيد الحياة لمدة ثلاث سنوات، ومقاومة الظروف القاسية في تلك المنطقة القاحلة الخالية من أي ظل يظلمهم من الشمس المحرقة، أو يقيهم هب الرضاء القاتلة؟!

ثالثاً: أنّ المنطقة المسماة اليوم بمقبرة أبي طالب، كانت في العصر الجاهلي مقبرة ايضاً. وليس من المعقول لرسول الله ﷺ ان يترك جميع المناطق الموجودة في مكة ويلتجئ إلى مقبرة هو وأبو طالب ومجموعة من النساء والأطفال! رابعاً: أن الحجون - كما أوضحنا سابقاً - تقع خارج مكة، وهذا لا يتسق والروايات القائلة بأن بكاء الأطفال كان يُسمع من خارج الشعب.

خامساً: جاء في بعض النصوص التاريخية أن الأوضاع كانت على درجة شديدة من القساوة، اضطر معها المحاصرون إلى أكل أوراق الأشجار



والْحَبْطُ (٨٥)(٨٦) بينما لم تكن هناك أيّة أشجار أو نباتات في المقبرة آنذاك حتى يتناولها المحاصرون.

سادساً: يتضح مما نقله الأزرقى أن الحجون لم يسكنها أحد حتى العام العاشر للهجرة، وظلت هذه المنطقة خارج مدينة مكة لعدة قرون.
سابعاً: لم تكن هذه المنطقة من مكة مسكونة أساساً، وما كان فيها زرع أو دور، حتى إن رسول الله ﷺ كان يضرب الخيام عند النزول فيها لعدة أيام.
قال أبو الوليد:

إن النبي ﷺ بعدما سكن المدينة كان لا يدخل بيوت مكة، وكان إذا طاف بالبيت انطلق إلى أعلى مكة فاضطرب به الابنية، قال عطاء: في حجته فعل ذلك أيضاً، ونزل أعلى مكة قبل التعريف، وليلة النفر نزل أعلى الوادي (٨٧)، ثم يضيف الأزرقى: قيل للنبي ﷺ يوم الفتح: ألا تنزل منزلك بالشعب؟ قال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ فقيل له ﷺ: فانزل في بعض بيوت مكة في غير منزلك، فأبى وقال: لا أدخل البيوت، فلم يزل مضطرباً بالحجون لم يدخل بيتاً، وكان يأتي المسجد من الحجون.

ونقل سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله ﷺ مضطرباً بالحجون في الفتح يأتي لكل صلوة (٨٨).
يتضح مما سبق أن شعب أبي طالب كان في غير موضع مقبرة أبي طالب، ولا يعرف متى حصل هذا الخلط وما سببه!!

والمؤرخ الوحيد الذي احتمل أن يكون موضع شعب أبي طالب في منطقة الحجون هو الحلبي الذي قال بعد بيانه لموضع ولادة رسول الله ﷺ:
أقول: قد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن تكون تلك الدار من شعب بني هاشم، ثم رأيت التصريح بذلك، ولا ينافيه ما تقدم في الكلام على الحمل من أن

شعب أبي طالب وهو من جملة بني هاشم كان عند الحجون؛ لأنه يجوز أن يكون أبو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب. والله أعلم (٨٩).

ولكن لا يوجد هنالك دليل يثبت صحة هذا النقل. وربما يفهم من كلمة «والله أعلم» التي أوردها الحلبي أنه لم يكن متأكداً من صحة ما نقله.

وعلى هذا فقد كان المسار الطبيعي للأحداث بالشكل التالي: أنه حينما تعرّض أبو طالب وبنو هاشم وبنو المطلب للخطر الداهم من العدو التقوا حول أبي طالب لكونه شخصية معروفة ومهاب الجانب، واجتمعوا في موضع يعرف بشعب أبي طالب، وتولوا حراسته دفاعاً عن أنفسهم وعن النبي ﷺ ولما انتهت المقاطعة، خرج بنو هاشم وبنو المطلب من الشعب، وعادوا إلى منازلهم، ولم يرجعوا إلى الشعب مرة أخرى، والنصوص التاريخية تثبت هذا المعنى، إلا أن البعض لم يلتفت إليها.



الهوامش :

- (١) فقه العبادات (الحج): ٢٠٥.
- (٢) أبو دب كنية رجل من بني سُوءة بن عامر، سكنه فسَمي به، أخبار مكة للأزرقي ٢: ٢١٠ - معجم معالم الحجاز: ٥٦.
- (٣) أخبار مكة للأزرقي ٢: ٢٠٩.
- (٤) المصدر نفسه ٢: ٢٧٢ في هامشه.
- (٥) الصحاح ١: ١٥٦.
- (٦) لسان العرب ٧: ١٢٦.
- (٧) مجمع البحرين ٣: ٥١٣.
- (٨) مجمع البحرين ٢: ٥١٣.
- (٩) معجم البلدان ٣: ٣٩٣.
- (١٠) مرآة العقول ٥: ١٧٣ و ١٧٤.
- (١١) أخبار مكة للأزرقي ٢: ١٩٨.
- (١٢) المصدر نفسه، في هامشه.
- (١٣) أخبار مكة للفاكهي ٣: ٢٦٤.
- (١٤) المصدر نفسه.
- (١٥) كذا في الأصل وهو غريب، لأن الوليد بن عبد الملك توفي سنة ٩٦ والحجاج توفي سنة ٩٥. وقد استعمل الوليد خلال حكمه رجلين على مكة، أولهما خالد القسري، والثاني عمر بن عبد العزيز، ولم يستعمل على مكة سواهما. أنظر شفاء الغرام ٢: ١٧٢.
- (١٦) أخبار مكة للفاكهي ٣: ٢٦٦.
- (١٧) وكان الدار تقع على يسار الداخل إلى شعب علي، وبها مكتبة مكة المكرمة التابعة لوزارة الحج والأوقاف.
- (١٨) المصدر نفسه: ٢٦٩.
- (١٩) أي في بيت كان قريباً منها وكان البيت لعبد الله أو موضع نزوله، إذ كانت لأهل مكة في منى منازل وبيوت ينزلونها في الموسم، ويحتمل أن يكون المراد بالمنزل الخيمة المضروبة له هناك - مرآة العقول ٥: ١٧٣.
- (٢٠) كان محمد بن يوسف والياً على اليمن ومعروفاً بعدائه لآل علي عليه السلام توفي في اليمن في سنة مائة للهجرة أو قبلها بقليل - الوافي بالوفيات ٥: ٢٤٢.
- (٢١) الكافي ١: ٤٣٩.
- (٢٢) إتحاف الوري بأخبار أمّ القرى ١: ١٥.
- (٢٣) أعيان الشيعة ١: ٢١٩.
- (٢٤) قال البكري: ردم بني جَمَح بمكة، كانت فيه حرب بينهم وبين بني محارب بن فهر، فقتلت بنو محارب من بني جمح أشدّ القتل. فسَمي ذلك الموضع بما رُدِم عليه من القتلى - شفاء الغرام ١: ٤٣٢.
- (٢٥) العقد الثمين ١٨: ٢١٩ و ٢٢٠.

- (٢٦) السيرة الحلبية ١: ٦٢ و ٦٣.
- (٢٧) مروج الذهب ٢: ٢٧٤.
- (٢٨) المصدر نفسه: ٢٨٧.
- (٢٩) الكامل في التاريخ ١: ٢٩٤.
- (٣٠) تاريخ الأمم والملوك ٢: ١٢٤.
- (٣١) شفاء الغرام ١: ٤٣١.
- (٣٢) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١: ٦٧.
- (٣٣) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٦٧.
- (٣٤) نهاية الایجاز في سيرة ساكن الحجاز ١: ٦.
- (٣٥) القرى لقاصد أم القرى: ٦٦٤.
- (٣٦) الوافي بالوفيات ٥: ٢٤٢.
- (٣٧) فضائل مكة: ٢٣٢.
- (٣٨) السيرة الحلبية ١: ٥٧.
- (٣٩) في رحاب البيت الحرام: ٢٦٢.
- (٤٠) كذا في الأصل، ولكن الذي عند ابن جبير - ص ١٤١ -: «فتكون سعتها مع الفضّة المتصلة بها شبراً».
- (٤١) شفاء الغرام ١: ٤٣٣.
- (٤٢) توفي سنة ٧٥٨ هـ. الدرر الكامنة ٢: ١٩٦ و ١٩٧، رقم ١٩٥٠.
- (٤٣) هو يلبغا بن عبد الله الخاصكي الناصري الأمير الكبير المشهور. قتل سنة ٧٦٨ هـ. قال ابن حجر: كانت ليلبا صدقات كثيرة على طلبة العلم ومعروف كثير في بلاد الحجاز. الدرر الكامنة ٤: ٤٣٨ - ٤٤٠، رقم ١٢١٨.
- (٤٤) شفاء الغرام ١: ٤٣٢ - ٤٣٤.
- (٤٥) بحار الأنوار ١٥: ٢٥١، رواية ٥ باب ٣.
- (٤٦) بحار الأنوار ١٥: ٢٧٦، رواية ٢٣.
- (٤٧) المصدر نفسه.
- (٤٨) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٧٥.
- (٤٩) أعيان الشيعة ١: ٣٣٥.
- (٥٠) بحار الأنوار ١٩: ١٨ و ١٩.
- (٥١) إتحاف الوري بأخبار أم القرى، الجزء الأول: ٢٨٣.
- (٥٢) المصدر نفسه: ٢٨٤.
- (٥٣) إتحاف الوري بأخبار أم القرى، الجزء الأول: ٢٨٤ - دلائل النبوة ٢: ٨١ - ٢: ٤٣ - ٤٤ - شرح المواهب ١: ٢٧٨ - ٢٧٩.
- (٥٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤٣.
- (٥٥) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١: ٩٤ - ٩٥.
- (٥٦) المصدر نفسه: ٩٦.



- (٥٧) بحار الأنوار ١٩: ١٦.
- (٥٨) طبقات ابن سعد، ١: ٢٠٩.
- (٥٩) الكامل في التاريخ ١: ٥٠٤.
- (٦٠) السيرة للذهبي: ٢٢١.
- (٦١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢: ١٠٨ - شرح النهج للمعتزلي ١٣: ٢٥٦.
- (٦٢) أعلام الوري: ٥٩ و ٦٠.
- (٦٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٣٨٩.
- (٦٤) تاريخ الأمم والملوك ٢: ١٢٥.
- (٦٥) أصول الكافي ١: ٤٤٩.
- (٦٦) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢: ١٢٠ و ١٢١.
- (٦٧) البحار ٣٣: ١١٤ رواية ٤٠٨.
- (٦٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٦٥.
- (٦٩) المصدر نفسه: ٥٩.
- (٧٠) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٢٢٥.
- (٧١) العقد الثمين ١: ٢٣٠.
- (٧٢) بحار الأنوار ١٨: ١٢٠ رواية ١٦.
- (٧٣) الطبقات الكبرى ١: ٢٠٩.
- (٧٤) تاريخ پیامبر اسلام (تاريخ حياة نبي الإسلام): ١٥٤.
- (٧٥) سيرة ساكن الحجاز، الجزء الاول: ١١٥.
- (٧٦) مرآة الحرمين ١: ١٨٠.
- (٧٧) معجم البلدان ٣: ٣٩٣.
- (٧٨) كذا في المتن، ويمكن أن يكون المراد شعب أبي طالب.
- (٧٩) معجم معالم الحجاز ٥: ٥٦.
- (٨٠) معجم البلدان ١: ١٠٣.
- (٨١) لعل القشاشية منسوبة إلى الشيخ القشاشي، وقد كان يسكن مكة حوالي القرن الحادي عشر «أنظر الجزء الثاني من كتاب تاريخ مكة للسباعي، حوادث الشريف أحمد بن عبد المطلب» من عهد الترك العثمانيين.
- (٨٢) مرآة الحرمين ١: ١٨٠ و ١٨١.
- (٨٣) أخبار مكة للازرق ٢: ٢٣٣.
- (٨٤) أخبار مكة للسباعي: ٣١.
- (٨٥) الخَبَطُ: اسم الورق السَّاقَط. لسان العرب ٤: ١٦.
- (٨٦) الغدير ٧: ٣٦٣.
- (٨٧) أخبار مكة للازرق ٢: ١٦١.
- (٨٨) المصدر نفسه.